اللغة العربية: لغة المرأة العربية الثائرة

دة. حنان بنعيسى العيسي

أستاذة محاضرة مؤهلة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.

elaissirealc@gmail.com

ملخص البحث:

يروم هذا البحث دراسة إشكالية العلاقة بين المرأة العربية و اللغة العربية من خلال تحليل و مقارنة روايتين مغربيتين عربيتين: ***الفصل الأخير*** للكاتبة ليلى أبو زيد ***و النار و الاختيار*** للكاتبة خناثة بنونة، و الدفاع عن أطروحة مفادها أن هاذين الكاتبتين تجاوزا لغة الإفرنج نحو الاحتفاء بلغة الضاد و جعلها لغة الإبداع و المقاومة و الحرية.

أهداف البحث:
يهدف هذا البحث إلى تعقب أشكال حضور اللغة العربية ليس كلغة إبداعية نسائية فقط بل كلغة ثائرة تقاوم الاستعمار اللغوي المعاصر و تنتج خطابا بديلا.

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:
كيف تجعل كل من أبو زيد و بنونة من اللغة العربية لغة ثائرة و في نفس الوقت إبداعية؟
ما هي أوجه الاختلاف و التشابه بين الروايتين و ما مدى احتفالهما باللغة العربية شكلا و مضمونا؟

منهج البحث:
يتبع البحث المنهج المقارن المبني على تحليل و دراسة أوجه احتفاء الكاتبتين باللغة العربية.

أدوات البحث:

المقارنة مبنية على تحليل المفاهيم الأساسية التي تنتظم بين ثناياها اللغة العربية أسلوبا و فكرا.

كيفية تحليل النتائج:
يحاول القسم الأول من البحث وضع السياق العام للروايتين و بسط مجموعة من مواقف الروائيتين حول اللغة العربية. أما القسم الثاني فيقارن و يحلل و يظهر المكامن و الصيغ المفاهمية التي تجعل من اللغة العربية لغة الإبداع و المقاومة و السمو.

الخلاصة و التوصيات:
نستخلص من هذا البحث أن احتفاء هاتين الكاتبتين المغربيتين العربيتين باللغة العربية إنما هو في حد ذاته انتقاد لموجة الاستعمار اللغوي الذي أصبح العالم العربي يتخبط فيه رجالا و نساء و في نفس الوقت دعوة للنهوض بلغة تحمل هويتنا الدينية و الحضارية.

إلى متى لغة القرآن تضطهد *** ويستبيح حماها الأهل والولد
أما يرون أنها في الدهر عدتهم *** ومالهم دونها في الكون ملتحد
ولن تقوم لهم في الناس قائمة *** أو يستقيم لهم في العيش ما نشدوا
إن لم تتم لهم في الضاد معرفة *** أو يكتمل لهم في الضاد معتقد[i]

علال الفاسي

استهلال

لا يخفى على المتخصصين في النقد الأدبي والدراسات النقدية أنه منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى الآن تم بزوغ دراسات وكتابات على المستوى العالمي لا تعنى فقط بشأن المرأة، بل تكتب "بحبر أبيض" نسائي كما وصفته الكاتبة الفرنسية إلين سيكسوس (Hélène Cixous). فالأهمية التي حظيت بها الكتابة النسائية في جميع أنحاء العالم - وخصوصا في العالم الغربي - سرعان ما انعكس صيتها بل تأثيرها على العالم العربي والإسلامي، فكان من ذلك أن تناسلت طرائق عديدة، ونظريات متنوعة، وألسنة مختلفة تحكم الكتابة النسائية العربية والإسلامية في سعيها لفرض وجود المرأة وتحقيق عدالة اجتماعية تضمن للمرأة حقوقا على جميع المستويات.

وفي ظل الغزو الاستعماري وسيادة الخطاب الإستشراقي، ما لبثت بعض النساء العربيات أن فطن لامتداد هذا الغزو الذي لم يعد غزوا بالسلاح والقذيفة في وسط هذا العالم المعولم الآن، بل أصبح اجتياحا بالحبر والقلم، وصناعة الأفكار، وإذاعة الإيديولوجيات وتسريبها بواسطة الرقميات. وعلى الرغم من أن بعض النساء العربيات والمسلمات اتفقن إلى حد نسبي مع نظيراتهن في الغرب على

ضرورة مناهضة كل أشكال التمييز والغبن الاجتماعي ضد المرأة، إلا أنهن قررن إنتاج فكر وكتابة تنبع من ذواتهن، وتعكس مبادئ وأصول ثقافتهن، وتكتب بلسان لغتهن العربية.

منهجية البحث

من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى دراسة إشكالية العلاقة بين اللغة العربية والمرأة العربية، وذلك من خلال التركيز على كاتبتين عربيتين مغربيتين، وسبر أغوار كتابتهن باللغة العربية التي وصلت إلى العالمية بفضل الترجمة؛ فالهاجس الأساسي لهذا البحث لا يتمثل فقط في تحليل روايتهن والمقارنة بينهما، بل في الوقوف أيضا على اختيارهن ومواقفهن من الكتابة باللغة العربية على عكس عدد من الكاتبات المغاربيات اللائي بقين أسيرات لغة المستعمر الإفرنجية.

ولتحقيق هذه الغاية، يهدف هذا البحث إلى تعقب أشكال حضور اللغة العربية بقوة في كل من رواية ***الفصل الأخير*** للكاتبة ليلى أبو زيد ورواية ***النار و الاختيار*** للكاتبة خناثة بنونة، لا بوصفها لغة إبداعية فقط بل بوصفها لغة قومية / ثورية تنتج معرفة تنبع من عمق الذات وتقاوم الاستعمار اللغوي، وتشكل نواة لفكر عربي نسائي بديل. ومن ثم تتولد أسئلة يسعى هذا البحث للإجابة عنها من قبيل: - كيف تجعل كل من أبو زيد وبنونة من اللغة العربية لغة ثائرة وفي نفس الوقت لغة إبداعية؟ وما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين الروايتين؟ وما مدى احتفالهما باللغة العربية شكلا ومضمونا؟

للإجابة عن هذه الأسئلة ينقسم هذا البحث إلى شقين: الشق الأول يحاول وضع الراويتين في سياقهما العام مع التركيز على المواقف الصريحة للكاتبتين من اللغة العربية، أما الشق الثاني فيقارن ويحلل الصيغ والمفاهيم

التي تجعل من اللغة العربية لغة للإبداع والمقاومة والسمو الفكري.

اللغة العربية لغة هوية

على الرغم من اختلاف جيلهن، تعتبر كل من أبو زيد وبنوبة من أبرز إن لم نقل من أوائل الكاتبات الروائيات المغربيات اللائي تصدرن الكتابة الروائية النسائية بلغة عربية فصيحة تدافع عن المرأة ومن خلالها عن الهوية العربية الأصيلة، لترتويا معا من بحر مداد حروف العروبة. لقد اختارتا الكتابة باللغة العربية وتفوقتا في ذلك على المستوى الوطني والعربي ككل، فحصلت كل منهما على جوائز وطنية وعربية. ولا يخفى على المثقفين العرب أن خناثة بنونة حصلت على جائزة القدس وتبرعت بها كاملة لبيت مال القدس، كما أن أغلب روايات أبو زيد تمت ترجمتها للغة الإنجليزية وكذا للغة الألمانية. لقد استطاعت هاتين الكاتبتين تحقيق نجاح وإبداع أدبي نسوي نال اعترافا وطنيا وعربيا ودوليا، وكل ذلك من خلال صوت سردي عربي قح وأصيل يحتفي بامرأة عربية ارتأت أن تكتب ذاتها بالعربية لتحفظ القيم وتحرس التقاليد ضد موجات التغريب والاستلاب الثقافي على حد قول أبو زيد "المرأة المغربية في نظري أكثر محافظة من الرجل؛ إنها حارسة القيم والتقاليد"[ii].

وبالفعل، فمن خلال اختيار الكتابة بلغة الضاد، ساهمت كل من بنونة وأبو زيد في الحفاظ على أس مهم من أسس الثقافة والحضارة العربيتين، وهو اللغة العربية التي احتفت بها كلا الكاتبتين في روايتيهما، بل جعلتا منها لسانا مميزا تستطيع المرأة من خلاله إسماع صوتها والتعبير عن وضعها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفني والثقافي؛ فكلتا هما عبرتا في مناسبات عديدة عن مواقفهما الصريحة التي تفخر وتعتز بالهوية العربية

التي تتمظهر بشكل جلي في دفاعهما عن اللغة العربية ومقاومتهما للفرنكفونية وللغة المستعمر (الفرنسية).

لقد عبرت أبو زيد في جل أعمالها عن كرهها للغة المستعمر الذي ظلمها وظلم والدها واحتل بلادها، فرغم كونها تدرس اللغة الفرنسية إلا أنها كانت لا تتحدث بها، بل كانت تفضل اللغة العربية كما تقول: "كنت أكره القراءة بالفرنسية بل تولد عندي نفور عند استعمالها خارج الصف [. . .] كنت أقرأ حصريا باللغة العربية، أحببت لغتي الأم وكنت مولوعة بفن خطها"[iii]. فمنذ نعومة أظافرها، اختارت أبو زيد القراءة والكتابة بلغتها الأم لتقترب أكثر من ذاتها كامرأة مغربية عربية لها خصوصيتها الثقافية والدينية واللسانية. لذلك، فجل أعمالها الروائية تتطرق لمشكل اللغة العربية وما بات يهددها من منافسة مع لغات أخرى سواء داخل الوطن العربي أو خارجه؛ وفي هذا الصدد أيضا تأتي مواقف الأديبة خناثة بنونة التي جعلت من اللغة العربية لغة مقاومة وثورة تصرخ المرأة العربية من خلالها بكل فصاحة وبلاغة في شكل خطاب أدبي يفيض بأنوثة عربية ترى في الحوار مع الذات حلا لمشاكلها وإثراء لإبداعها.

لقد عبرت بنونة على غرار أبو زيد - وفي كثير من المناسبات - عن فخرها باللغة العربية، وهي التي تمثل نموذج المرأة العربية التي تعتز بالقومية العربية والإسلامية وترفض كل من يذوب في ثقافة ولغة الآخر بدون أي حصانة أو نقد بناء، إلى حد أنها اعتبرت من يترك اللغة العربية للارتماء في أحضان لغة أخرى بمثابة المرتد عن دينه، فقالت في هذا الصدد إن "المرتد عن لغته كالمرتد عن دينه"[iv]، وهو تعبير قوي إن دل على شيء فإنما يدل على ارتباط اللغة لا بالفكر فقط بل بالدين أيضا، خصوصا إذا ارتبط الأمر باللغة العربية، فهي لغة القرآن، والاعتقاد

بها وفيها من كماليات المعتقد والإيمان؛ فلا عجب إذا تغنى بها علال الفاسي لما أنشد قائلا:

"من غيرها في لغات الأرض قادرة على أداء كلام الله
إذ يفد؟"[v]

ولا عجب أيضا إذا ذهب طه حسين إلى القول:

"اللغة العربية لغة الدين، هذا حق، وهذا خير للذين يتكلمون هذه اللغة، ولكنه يجب أن يكون خيرا خالصا بريئا من كل شيء، بريئا من كل حرج، بريئا من كل تقييد للحرية المعقولة، بريئا من كل ما يدعو إلى الجمود أو يورط فيه؛ لأن الدين نفسه بريء من هذا كله. وإذا كان هذا كله حقا فإن اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم من دونها، ويتصرفون وحدهم فيها، ولكنها ملك للذين يتكلمونها جميعا من الأمم والأجيال، وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف"[vi]؛

وعليه، فإن إحياء اللغة العربية سواء من خلال المنطوق أو المكتوب إنما هو إحياء عقلاني للدين والحضارة والتراث العربي الأصيل. وفي هذا السياق، تؤكد خناثة بنونة أن اللغة العربية "لغة تخلق رجالا وطنيين حقيقيين [...] بل تصنع المعجزات"[vii]، فهي ترسانة لغوية حاملة للفكر والعلوم ومبادئ العروبة والهوية القومية، وتساهم في تثبيت الأصول، وتقوية الروابط الثقافية، وتعزيز الانتماء الوطني على حد قول طه حسين: "نحن نفكر بهذه اللغة، ونحن لا نغلو إن قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا. وإن كان هذا حقا فنحن نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها ضرورة من

ضرورات حياتنا الفردية والاجتماعية، ووسيلة أساسية إلى منافعنا مهما تختلف قربا وبعدا ويسرا وعسرا، وسهولة وتعقيدا، وإذن فنحن لا نتعلم اللغة العربية ولا نعلمها لأنها لغة الدين فحسب، وإنما نتعلمها لأنها أوسع من ذلك وأشمل وأعم، ونحن لا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة القدماء من العرب والمستعربين، وإنما نتعلمها لأنها لغتنا ولأنها لغة الأجيال المقبلة أيضا، أو لأننا نريد أن تظل لغة لهذه الأجيال"[viii]. فهي بذلك لغة شاملة لجميع مناحي الحياة العملية والعلمية لا يمكن تجزئتها ولا فصلها عن اتجاه دون آخر أو تعويضها بأية لغة؛ ومن ثم فإن الروائيتين تتفقان كل الاتفاق على رفض الدعوات الفرنكفونية داخل المغرب وخارجه، وتؤيدان التعريب في الكتابة والإبداع وفي التدريس على وجه الخصوص، على الرغم من أنهما تعترفان بفكر إنساني مشترك ما دام لا يؤثر على جنسيتنا اللغوية ومفاهيمنا الفكرية، كما تعبر عن ذلك بنونة في حوار صحفي بالقول: "أنا نخلة مغربية طالعة من هذه الأرض، سامقة لا أستضل لا بظل أوربا ولا أمريكا، مع أني أعترف بأني تلميذة للفكر والإبداع الإنساني أينما كان"[ix].

تظهر هذه المبادئ اللغوية والفكرية التي تثمنها كل من أبو زيد وبنونة في إبداعاتهما السردية التي تشكل من بيان اللغة العربية أسلوبا أنثويا تعانق فيه المرأة العربية لغتها لتجد فيها من التعابير ما يمكنها من بلوغ المقصود واجتياح المعنى؛ فكل من **رواية النار والاختيار** ورواية **الفصل الأخير** تحتفلان باللغة العربية شكلا ومضمونا، وتنشغل كلا الروايتين بقضية المرأة المغربية والعربية في محاولة لسرد أوضاعها المزرية من خلال مقاربة من الداخل لا من الخارج، مقاربة تراهن على الانسجام مع الذات والأصل والجذور الثقافية، والاعتماد على اللغة العربية أداة للنقد والتغيير والبناء.

اللغة العربية أداة للنقد والبناء

ترصد رواية **النار والاختيار** أحداثا تنتظم وفق سياق ثقافي وسياسي عربي خاص، حيث تم نشر الرواية سنة 1969م وهي بالتالي تتفاعل مع حصيلة ما تسميه الكاتبة "حياة الهزيمة" التي تقصد بها نكسة 1967م وهزيمة العرب. تثور خناثة بنونة في هذه الرواية من خلال بطلتها ليلى وتعبر عن وعي نسائي عربي يحيى لحياة العرب ويتمزق أطرافا لمأساتهم، فالبطلة شخصية مميزة تفكر في الوجود، وفي اللغة، وفي الكلمة، وفي الحقيقة، وفي التاريخ والثقافة، لتجد نفسها تحترق بنار الحزن على العرب وقضيتهم الوجودية المصيرية وحيرة الاختيار بين الاستسلام للوضع والصمت أو الثورة على تحمل آثار الهزيمة ومسؤولية مسح العار. تقف البطلة ليلى موقفا صامدا من كل هذه الأحداث، فهي سيدة مثقفة تعيش مع والديها وتعمل كموظفة بمركز وزاري لكنها ترفض الانصياع للتقاليد والعادات التي تمثلها أمها؛ فهي ترفض الزواج من أجل الزواج أو من أجل الثراء، وترفض أن تصبح إنسانا فارغا بلا قلب أو عقل. تشكل شخصيتها المثقفة الفياضة بالأسئلة نقيضا لأمها التي تمثل المرأة التقليدية التي تختصر هدف الحياة كله في زوج وبيت وأبناء. لكن ليلى منذ دخولها المدرسة بدأت تعرف وتتذوق المعرفة، وعندما بدأت السير في طريق المعرفة، بدأت تتعذب وتتألم وكأن المعرفة تتغذى من دموع الألم والتفكير.

تكرس ليلى حياتها للبحث، فهي تبحث عن الحقيقة وعن المبدأ في كل تمظهرات الحياة سواء الاجتماعية أو الوطنية أو الشخصية، لذلك استطاعت ليلى أن تقول كلمة "لا" بعربية قوية مفعمة بالحق في تقرير المصير ونقد الأعراف والتقاليد التي تحط من قيمة المرأة العربية، فتصرخ ليلى: " لا ... لا . . . لا، لا لكل ذلك. . . لا لأمي، لمجتمعها ، للإغراءات جميعا ، فلن أتضامن مع غير الفرد

العربي في كل مكان، أجره بما تبقى في من حرارة إلى الوضوح، ليرى ليسمع ليتحرك ليدخل تاريخه"[x].

تستهدف ليلى العودة إلى بناء الشخصية العربية في كليتها وقوتها اللغوية والثقافية. فمسار البطلة ليلى وحواراتها مع أمها وأبيها ورئيسها في العمل كلها حوارات وجودية تسائل وتتساءل، تفكك وتهدم وتحاول بناء سلاح جديد يفخر بالعربية والعروبة. وتواصل البطلة ليلى تأملاتها لتطرح السؤال حول الكلمة العربية بعلامة استفهام أنثوية وشرارة نسائية تبحث عن جواب يولد كلمة عربية تحمل فعلا في طياتها ومدلولاتها "الكلمة التي في مستوى عصرها، غير بعيدة ولا متخلفة. لكن قبل ذلك هناك مراحل، فالفرد أولا، وحينما يتهيأ ليكون الكل، فإنه يجد كلمته الخاصة به، ليقولها على المستويين القومي والإنساني"[xi]. هكذا تتكلم ليلى، فتجعل من كل حرف وكلمة عربية أداة لإعادة خلق عالم عربي جديد يسوده التماسك وتمتطي همته العزيمة؛ فكلمتها العربية في هذا السياق الروائي العربي تصنع فعلا وتنحت فنا يساهم في تحرير الذات من كل الشوائب لتنطلق في مسيرة الإبداع الذي يرجى منه تغييرا يتجاوز الفكر للعمل.

وعلى الرغم من مرارة المأساة والهزيمة التي تسجن ليلى داخل عالم مظلم حزين فإن الأسئلة تظل تتناسل بلا حدود باحثة عن أجوبة ولو مؤجلة، لتطرح السؤال المركزي: "أين الإنسان"[xii]؛ وهو سؤال قوي تعري فيه الكاتبة بنونة على لسان بطلتها ليلى وعيها الإنساني الوجودي الذي يتعالى على التفرقة والتجزئة والجنسية ويحتفي بالإنسان، وفي نفس الوقت يبحث عن الإنسان في شموليته والقضية الإنسانية في كليتها. تواصل ليلى الرفض، لكنه رفض واع يجعلها بمنأى عن التبعية والرعوية، رفض كل شيء يبعدها عن أصالتها وأمتها العربية، فرفضت حتى عملها في النظام الحكومي وهي تنتصر لكلمة "لا"، واختارت مهنة التدريس

لتضع أملها في ناشئة الغد علها تحمل شعلة العروبة وتدافع عنها، فتدخل التاريخ برأس مرفوع ينتصر للحق وللقضية العربية على حد قولها: "إن التدريس سيمنح لشعوري بالمسؤولية نوعا من الاطمئنان، فعلى الكراسي بواكر طرية يجب إنقاذها من التيه الذي يعاني منه إنساننا العربي"[xiii]؛ وقد تمكنت ليلى بذلك من اختيار تدريس اللغة العربية لأجيال ترجو من خلالهم رفع الهمة العربية بلسان عربي بليغ وأصالة تمسح عار الهزيمة وتنقش معالم مستقبلية للنصر والانتصار.

الفصل الأخير "رواية لن تعرفي أبدا فصلها الأخير"، هكذا ارتأت الكاتبة ليلى أبو زيد إنهاء روايتها ***الفصل الأخير***. فكما تفاعلت خناثة بنونة مع قضية وطنية وعربية تسمو بإبداعها الأدبي نحو فكر وقضية تهم الوطن العربي وترصد تحولاته الفكرية والتاريخية بلغة عربية قحة وثورية، تلقي ليلى أبو زيد بدورها الضوء على أوضاع المغرب إبان الاستقلال وتطرح أسئلة حول الهوية الثقافية واللغوية والدينية في ظل معركة فكرية مع آثار وترسبات المستعمر الفرنسي من جهة، وآثار الفساد السياسي والاجتماعي من جهة أخرى. ولذلك، فأول تحد أخذته الكاتبتان على عاتقيهما هو الكتابة باللغة العربية ورفضهما أن تكونا ضمن قائمة الكاتبات الفرنكفونيات.

تتمحور رواية ***الفصل الأخير*** حول البطلة عائشة أبو العزم حيث تصف الكاتبة حياة هذه البطلة من مرحلة المراهقة إلى الرشد عبر استرجاع للذاكرة وأحداث الماضي. درست عائشة وتفوقت في دراستها وحصلت على عمل بمؤسسة حكومية، لكنها مثل البطلة ليلى لم تكن امرأة منصهرة في التقاليد أو في ثقافة الغرب بل كانت امرأة تلاحظ وتتأمل وتنتقد ما وصل إليه المجتمع المغربي بعد الاستقلال من انحلال وغياب للمسؤولية في جميع الميادين. فعلى عكس زميلاتها وزملائها فضلت عائشة أن تبقى ابنة

وفية للمتنبي تعتز بعروبتها وترفض كل شيء مستورد من الغرب. ترفض الاستعمار الفرنسي ومخلفاته على المجتمع المغربي نساء و رجالا على حد قولها: "لعنات الله عل الاستعمار الفرنسي وعلى الساعة التي رأينا فيها وجهه. لم يرد فسفاطنا وبرتقالنا وحسب ولكنه أراد أرواحنا أيضا"، وتقصد بالروح هنا الروح الثقافية، فموتها يعني موت الفرد الفعلي، وموت القيم والأخلاق والتراث الذي يحدد وجودنا كأفراد لهم خصوصيات متميزة ومتفردة داخل المجتمع الواحد.

تعكس عائشة من خلال علاقتها بسالم انفصام الهوية المغربية العربية والإسلامية، وتنتقد ذوبانه في الأخر. ومنذ بداية الرواية تبين عائشة موقفها من لغة المستعمر وكيف أن المجتمع المغربي انصهر بدون وعي في الفرنكفونية على حساب اللغة العربية. تحمل عائشة في كيانها مسؤولية الحفاظ على فصاحة اللغة العربية ونشرها، وتجعل ذلك مهمة المثقف العربي، وتتذكر حينما كان سالم مهاجرا في بلاد الغرب وأعطته ديوان المتنبي قائلة: "اجعله عند رأسك حتى لا تنسى لغتك. انظر إليهم في الشرق نصارى ويتقنون العربية أحسن مني ومنك وهم أيضا استعمرهم الأوروبيون (ثم ملمحة إلى رسائله التي لا يكتبها إلا بالفرنسية) نحن غير راسخين. أيما ريح أتت تجرفنا"[xiv]. وفعلا، فقد بينت عائشة كيف انجرف سالم مع تيار الغرب وكيف ابتلعته الحضارة الغربية وأنسته لغته على حد قولها: "جاءني من براريه يتشدق علي بالفرنسية. يمين الله لا اسكت له!"[xv]؛ فتمسك عائشة بلغتها وإتقانها وجعلها لغة فاعلة بدأ منذ دراستها بالثانوي إلى حد أن استاذها كان يستعين بالقاموس وهو يصحح إنشاءاتها. ولعها بالعربية تجلى أيضا في أنها تعتبرها لغة مقدسة، فهي لغة القرآن الذي تستشهد بآياته في حوارها مع سالم لتبين له أن لغة

الضاد حاضرة على جميع المستويات العلمية والدينية والفنية.

من جهة أخرى، تحتفي أبو زيد بتعليم المرأة على لسان بطلتها عائشة على حد قولها: "لولا لطف الله والتعليم لكنت الآن أربي الأيتام"[xvi]. فعلا، لم تختر عائشة الزواج وفضلت العزوبة على أن تدخل في تجارب فاشلة فقط لترضخ لقوانين وعادات مجتمعية لا علاقة لها بالشرع، كما فضلت العمل وبناء ذاتها بعيدا عن عادات متخلفة ما زال المجتمع المغربي يتخبط فيها بنسائه ورجاله؛ فروايتها لقصة صديقتها التي تزوجت ممن يسمي نفسه بفقيه لتكتشف أنه يشتغل مع أمه في السحر والشعوذة والخرافات، جعلتها تصف بلدها بأنه انتقل من "عاصمة فداء إلى عاصمة الفسق"[xvii]، حيث تخلى الإنسان المغربي عن مبادئ الكفاح وأصبح يستسلم بسهولة للوضع الذي أصبح وللأسف عاديا يجب التكيف معه وإلا أصبح الفرد خارج المنظومة الاجتماعية.

خاتمة

أسلفنا القول إن كلا من الكاتبتين المغربيتين خناثة بنونة وليلى أبو زيد أبديتا فخرهما واعتزازهما باللغة العربية في كثير من المحافل الثقافية والفكرية؛ وبالإضافة إلى ذلك، فقد جعلتا من اللغة العربية لغة إبداع وفن وثورة عربية تنبض بلسان عربي يفوح فصاحة وبلاغة وأنوثة. فاهتمامهما باللغة العربية يتمظهر في الشكل والمضمون. فعلى الرغم من إتقانهما للغة المستعمر الفرنسي، فهما فضلتا عدم الانجراف نحو الفرنكفونية وعيا منهما بعدم خلو اللغة من الحمولة الثقافية والفكرية. لذلك فكتابتهما باللغة العربية لا تشكل فقط احتفاء بلغة الضاد شكلا ومضمونا، بل تعبر عن مقاومة سلطة الآخر التي تتجلى في سيادة وهيمنة لغته العجمية؛ وهذه المقاومة المعبرة عن توق للعزة والكرامة هي ما تنبض بها كتابات

ومواقف بنونة وأبو زيد، ليس فقط لأنهما اختارتا الكتابة باللغة العربية، بل لأنهما جعلتا منها موضوعا للأدب والسرد والحكي، فرواياتهما لم تجعلا من اللغة العربية أداة للتعبير والتغيير فحسب بل لغة للتفكير والتمحيص والتدبر أيضا.

وعليه، فإن هذه التجربة الإبداعية التي خاضتها كل من بنونة وأبو زيد تدل على التزامهما الوفي بالقضية العربية في شموليتها وخصوصا المساهمة في إعلاء شأن اللغة العربية والبرهنة على أن هذه اللغة المقدسة لغة مواكبة للتطور الإنساني في جميع الميادين العلمية والأدبية والفنية، كما أنها لغة حاملة في طياتها لقيم التسامح والتواصل والحوار؛ وهذا ما أظهرته الروايتين من خلال نسج حوار عربي بين كل الشخوص، سواء الأجنبية أو المحلية لتبينا أن اللغة العربية لغة عابرة للحدود تفكر في الذات كما في الآخر.

ولا يخفى علينا اليوم ظهور جيل من الكاتبات العربيات اللائي على الرغم من إتقانهن للغات الأجنبية إلا أنهن لا يجدن أنفسهن وكينونتهن إلا في أحضان كلمات وحروف لغتهن الأم، وأنا بصفتي أستاذة للغة الإنجليزية أظل أشعر بوجودي وسمو ذاتي حينما أقرأ وأكتب بلغتي العربية، فأقول: "أنا اقرأ وأكتب باللغة العربية إذن أنا موجودة".

الهوامش

[i] علال الفاسي، **ديوان علال الفاسي**، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة (الرباط: منشورات مؤسسة علال الفاسي، 2017)، ص 54.

[ii] ليلى أبو زيد، **عام الفيل** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2011)، ص 37.

[iii] ليلى ابو زيد، الفصل الأخير، الطبعة الثانية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2011) ص 155.

[iv] خناثة بنونة، "المرتد عن لغته العربية كالمرتد عن دينه"، حوار مع الموقع الالكتروني **العمق المغربي** منشور بتاريخ: 29 دجنبر 2015. انظر: (https://al3omk.com/138426.html)

[v] علال الفاسي، **ديوان علال الفاسي**، مرجع مذكور، ص 54.

[vi] طه حسين، **مستقبل الثقافة في مصر** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، 2012)، ص 188 – 189.

[vii] خناثة بنونة، "اللغة العربية تخلق رجالا وطنيين حقيقيين"، حوار مع الموقع الالكتروني **العمق المغربي** منشور بتاريخ: 12 أبريل 2019. انظر: (https://www.youtube.com/watch?v=oDmoyYx76TE)

[viii] طه حسين، **مستقبل الثقافة في مصر**، مرجع مذكور، ص 188.

[ix] موسوعة الجزيرة، "خناثة بنونة"، مقالة منشورة بتاريخ 27 أكتوبر 2014. انظر: (https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/10/27)

[x] خناثة بنونة، **النار والاختيار**،(الدار البيضاء: منشورات وزارة الثقافة،1969) ص 107.

[xi] نفس المرجع، ص، 59.

[xii] نفس المرجع، ص 80.

[xiii] نفس المرجع، ص 106.

[xiv] ليلى أبو زيد، **الفصل الأخير**، مرجع مذكور، ص 39.

[xv] نفس المرجع، ص 51.

[xvi] نفس المرجع، ص 57.

[xvii] نفس المرجع، ص 49.

المراجع

- أبو زيد. ليلى، **عام الفيل** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2011).

- أبو زيد. ليلى، **الفصل الأخير**، الطبعة الثانية ،(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي ، 2011).

- بنونة. خناثة، **النار والاختيار**، ،(الدار البيضاء: منشورات وزارة الثقافة،1969).

- الفاسي. علال، **ديوان علال الفاسي**، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة (الرباط: منشورات مؤسسة علال الفاسي، 2017).

- طه حسين، **مستقبل الثقافة في مصر** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، 2012).